

تقديم Preface

يساعد هذا الكتاب المختصين بتربية الأطفال أصحاب التوحد على فهم الأعباء والمتاعب التي تواجه هذه الفئة من الأطفال من أجل تقديم تربية جيدة لهم والتوحد عبارة عن ظرف مرضى يستمر مدى الحياة يحتاج إلى رعاية خاصة عندما يصل الطفل إلى مرحلة المراهقة. لذا فإن بعض المقترحات التي يتضمنها هذا الكتاب سوف تكون قابلة للتطبيق على مدار عمر الفرد صاحب التوحد ومن ثم يصبح التدخل المبكر هنا ضرورة هامة من أجل ضمان تحسين جودة حياة هذا الفرد من خلال الوصول إلى فهم أعمق له، وتطبيق طرق فعالة لمواجهة حاجات هذه الفئة من الأطفال.

فنحن لا ندعى بإننا سوف نقدم علاجاً سحرياً للتوحد، ولكن يمكن القول بأن هناك دليل مقترح لتربية طفل التوحد يمكن أن يكون فعالاً في تخفيف حدة أعراض التوحد، وفي علاج بعض مشكلات التعلم الأساسية التي تواجه هؤلاء الأفراد. فهذا الكتاب اذن يقدم أملاً ولكنه لا يضع وعوداً كاذبة. رغم أن هذا الوقت هو الوقت المناسب جداً للبحث في التوحد وفهمه في ضوء الجوانب البيولوجية والنفسية إلا أنه أثناء كتابة هذا الكتاب لم يوجد دواء معين للتوحد. ويجب على العاملين في مجال التوحد أن يقبلوا ويأخذوا في اعتبارهم الطريقة التي يتعلم ويفكر بها هؤلاء الأطفال. حتى يمكنهم العمل داخل سياق التوحد لكي نجعل تعليم وتفكير هؤلاء الأفراد أكثر فعالية.

يستخدم طفل التوحد طرقاً مميزة للتفكير في العالم تؤدي إلى اتباع طرق معينة في

السلوك، فمثلاً Temple Grandin فتاة توحد أكثر قدرة ناجحة في المجالات الأكاديمية، ومجال التصميم وهي أيضاً سيدة أعمال، تعيش حياة مليئة بالأحداث وتلقى محاضرات في مؤتمرات في أنحاء متعددة من العالم. لانزال تعي جيداً أن لديها طرقاً في التفكير والإدراك تختلف عن مثيلتها الموجودة لدى الآخرين. وتقول Temple G. أنها سعيدة بأنها فتاة توحد بما في التوحد من نقاط قوة ونقاط ضعف. إلا أن العديد من المختصين في التوحد وأولياء الأمور لا يعرفون هذا الوضع.

لذا فإن صعوبات التعلم الإضافية الموجودة لدى الغالبية العظمى من أصحاب التوحد تجعل نقاط القوة الموجودة لدى هؤلاء الأفراد غير ظاهرة ولا تساعد على التغلب على نقاط الضعف. ومن ثم يجب على الوالدين والمختصين برعاية هذه الفئة من الأطفال فهم طرق التفكير والتعلم الخاصة بهؤلاء الأطفال بقدر الامكان، ويجب عليهم العمل داخل سياق التوحد، والعمل مع التوحد نفسه.

ويجب أن نلاحظ هنا أننا فقط نستطيع أن نصف التوحد من وجهة نظرنا الخاصة كأفراد عاديين. فنحن نستطيع أن نفسره في ضوء ماذا يعنى التوحد بالنسبة لنا كأشخاص عاديين فقط، والدليل على ذلك عدم قدرتنا على فهم أغراض الآخرين ومقاصدهم. هذا وتبقى وجهة النظر السابقة قاصرة لا تمكننا من الاستفادة من وجهة نظر أصحاب التوحد أنفسهم حول العالم وكيف يبدو بالنسبة لهم. ويمكن أن نخفى أو نقرب من فرد توحدى لنرى وجهة نظره في التوحد مثال ذلك نستمع لما تقوله لنا Temple Grandin عن ما هو التوحد من وجهة نظرها. إلا أنه توجد هنا بعض القيود منها أن صاحب التوحد يعتبر فرداً نادراً أو استثنائياً وعلى أية حال يستطيع أن يتعلم استخدام المصطلحات بطريقة واضحة وسهلة بالنسبة للأفراد العاديين.

ومع ذلك نعتقد أن التربية الفعالة لأصحاب التوحد يجب أن تقوم على فهم ووصف خطوات عمل شيء ما. فنحن لا نستطيع أن نقول «أفعل هذه الخطوات فقط» - ولكن يجب أن توضح كيف يكون طفل التوحد معنى عن الخطوات التي يقوم بها، وكيف يصمم المعلم مدخلاً للتدريس في ضوء هذا الفهم. وعندما نتحدث عن أطفال التوحد يجب أن ندرك أنه يوجد مدى كبير للفروق الفردية بينهم في

الأبعاد المختلفة للتوحد. أى لا يوجد فردان من أصحاب التوحد يفكرون بنفس الطريقة، وينفذون شيئاً معيناً بنفس الكيفية.. وهكذا يمكن القول أن طفل التوحد فريد جداً فى تفكيره وعمله ويستجيب بطريقته الخاصة للأشياء، ولكن توجد لدينا معرفة بطرق التفكير التوحدى تسمح لنا بصياغة بعض المبادئ لذا فإن هذا الكتاب يبنى على أساس وجهة نظرنا عن طرق الاستجابة لأنواع التفكير التوحدى وأنواع التعلم التوحدى.

وحتى نصل إلى الأفكار التى يعرض لها هذا الكتاب أخذنا فى الاعتبار العديد من الأعمال الأخرى فى هذا الشأن منها أعمال Uto & Simon Baron Cohen التى تشير إلى عدم قدرة أصحاب التوحد على فهم الحالات العقلية الخاصة بهم أو الخاصة بالآخرين والتى أشارت أيضاً إلى أن أطفال التوحد لا يستطيعون فهم ما يشعر به أو ما يفكر به الآخرون الأمر الذى يظهر نقصاً فى العاطفة، وأن أطفال التوحد أيضاً لا يفهمون ما يفكرون هم أنفسهم فيه أو ما يشعرون به... وأنهم يدركون أن العاديين وأصحاب التوحد الجميع لا يفكرون ولا يشعرون على وجه الإطلاق.. وتساهم هذه النتيجة فى عمل معنى عن القاسم المشترك بين الأنماط المختلفة للتفكير التوحدى وهذا ما تظهره الفصول القادمة من هذا الكتاب ونحن هنا لا ندعى بأن صاحب التوحد لا يشعر أو لا يفكر ولكننا نقول أنه لا يعنى بتفكيره ومشاعره كما أنه لا يعنى بمشاعر الآخرين وتفكيرهم.

وتنبثق المشكلة الرئيسية فى التوحد من هذا العيب عدم قدرة أصحاب التوحد على توقع تفكيره أو تفكير الآخرين بعكس الفرد العادى حيث يبنى العديد من الأفراد العاديين فهمهم عن الآخرين وعن الأشياء التى يمارسها هؤلاء الأفراد داخل موقف اجتماعى على أساس ما يشعر به الآخرون ويرغبون فى عمله. كما يقوم فهمنا للآخرين على أساس فكرتنا المسبقة (توقعنا) عما فعله الآخرون فى مواقف أخرى. وتقع هذه العملية فى قلب التفاعلات الاجتماعية حيث تؤثر على نشاط الفرد داخل البيئات الاجتماعية المتنوعة. هذا ويرتبط مقدار النجاح الذى يحققه فرد ما بمدى تعوده على السياق الاجتماعى للموقف فإدراكنا للصعوبة التى توجد فى

موقف اجتماعى وعلاقتها بالاشارات الاجتماعية يساعدنا على الوصول إلى استجابات مناسبة.

هذا واستخدامنا لوجهة النظر التقليدية فى تفسير طبيعة مشكلة التوحد بدون الاهتمام بالفهم الاجتماعى يظهر لنا أن هؤلاء الأفراد يتصرفون بطريقة غير متوقعة داخل سياق اجتماعى يربكهم ويجعلهم متعبين ومجهدين.. لذا فإنه يجب أن نستخدم طرقاً لتفسير الصعوبات الاجتماعية فى التوحد تزودنا بتوقعات أكثر عن أنواع صعوبات الاتصال وتفسر تصلب سلوك أصحاب التوحد وتفكيرهم. ولقد أظهرت أبحاث Baron - Cohen أن نسبة من أصحاب التوحد تستطيع أن تجتاز اختبارات نظرية العقل بنجاح وتظهر فهماً محدوداً لحالاتهم العقلية. إلا أن سلوك هذه الفئة من الأطفال فى المواقف الاجتماعية لا يزال يتسم بأنه سلوك توحدى. وتعزى فعالية هذه الفئة من الأطفال فى الإجابة عن اختبارات نظرية العقل إلى ارتفاع مستوى الذكاء لديهم. كما أظهرت الاختبارات التى تستخدم أشرطة التسجيل فى عرض السؤال فهماً عالياً للحالات العقلية للفرد التوحدى ومعتقداته الخاطئة. وهذا الفهم الذى يظهره الفرد التوحدى البالغ لا يستطيع الأطفال العاديين الذين تقل أعمارهم عن أربع سنوات الوصول إليه. ولكن هناك اختلاف بين قدرة أفراد التوحد على فهم الحالات العقلية الخاصة بهم (التصورات الذهنية) وبين قدرة الأطفال العاديين على فهم تلك التصورات.

وهذه الاختلافات لا ترجع بالكامل إلى نقص فى نظرية العقل بل ترجع إلى اختلاف نظرية العقل فى كل حالة. وهنا يصبح الوصف النظرى محالاً للوصف النظرى الذى وضعه Peter Hobson الذى يرى فيه أن التوحد عبارة عن اضطراب فى الذاتية الوسطية.

ولقد حُدد التوحد على أنه اضطراب فى مستوى ارتباطات الفرد العاطفية بالعالم يؤدى إلى مشكلات فى الإدراك الاجتماعى المباشر ومشكلات فى التقسيم والتصنيف ومشكلات فى علاقة صاحب التوحد بالعالم المحيط به. وهذا يتفق مع

وجهه نظر Erith التى تقول إن التوحد اضطراب يؤدى إلى الفشل فى البحث عن التكامل، وتطوير الذات المدربة.

والجدير بالذكر أن Hobson لم يهتم بتفسير مصدر الصعوبة فى التوحد فى ضوء الادراك الحسى التجريبي بل اهتم بتفسير مصدر الصعوبة فى التوحد فى ضوء مفهوم الذات المدربة القادرة على الاتصال والتى ترتبط بالادراك الحسى.

ولقد تأثر مؤلفا الكتاب بوجهة النظر السابقة لـ Hobson الدالة على أن نوع التناسق الانفعالى يمثل عاملاً هاماً فى تحديد نوع التفاعلات الشخصية والنمو العقلى والاجتماعى للطفل.

ويناقش هذا الكتاب أهمية فهم المعلم لطبيعة التوحد فى المستوى النفسى بدلاً من معالجة هذا الموضوع فى المستوى السلوكى فقط. وتتطلب عملية تنمية فهم المعلم لطبيعة التوحد تركيز انتباه المعلم على تتابع نمو طفل التوحد، وعلى مشكلات النمو (التي حددها Hobson) بالإضافة إلى تطوير طرائق للتدريس ومناهج تناسب أصحاب التوحد.

ويجب ألا نستخدم مداخل التدريس التى تعتمد على النمو العادى لأن طفل التوحد لا يستطيع الاستفادة من هذه المداخل التى تركز على تعلم المهارات التى لا ترتبط بالتوحد ومن ثم لا يمكن تعميمها. كما تتطلب عملية تنمية فهم المعلم لطبيعة التوحد أن يبقى المعلم على وعى بكل مساحات النمو العادى التى لا يستطيع طفل التوحد الوصول إليها من خلال طريقة التدريس الانفعالية العادية التلقائية، وأن يستخدم المعلم الطريقة المعرفية العامة The General Cognitive Route حتى نحقق تدريس واضح ذى معنى.

ويتلخص الغرض الرئيسى لهذا الكتاب فى تنمية قدرة المعلم على إدراك طبيعة مشكلة التوحد التى تؤثر على عملية فهم صاحب التوحد (والفهم كما نعلم هبة بيولوجية منحها الله للأفراد العاديين). وبالتالي تنمية الوعى بالطريقة المناسبة التى نستخدم فى تنمية تحصيل التلاميذ أصحاب التوحد. ويساعد هذا الكتاب المعلم

على تحديد أهداف التدريس ويقدم له طرقاً للتدريس تساعد على تحقيق تلك الأهداف.

ولما كان هذا الكتاب يدرك أن العديد من أصحاب التوحد الذين توجد لديهم صعوبات تعلم إضافية لا يمكنهم الوصول إلى الفهم وتحقيق أهداف التدريس من خلال التدريس المباشر لذا فإن هذا الكتاب يقترح استراتيجيات تدريس تعويضية تمكن طفل التوحد من التحرك في التعلم إلى الامام في ضوء خصائص نموه بالرغم من المشكلات المختلفة التي تواجه عملية الفهم. كما يقترح هذا الكتاب طرقاً لتركيب بيئة تعليمية تساهم في حدوث التعلم وتحسين جودة الحياة الحالية والمستقبلية للتلاميذ أصحاب التوحد.

ويعمل هذا الكتاب أيضاً على تدريب المعلم على مواجهة موضوعات التعلم بالمشاركة المجتمعية والصعوبات ذات الصلة لذا يجب أن يتأكد المعلم من أن ما يعلمه يجب أن يكون مفيداً لطفل التوحد وأن يتأكد من أن التعلم لا يقتصر على موقف بعينه (صف - مدرسة - نظام تعليمي) يوضع فيه التلميذ.

لذا فإن هذا الكتاب يهدف إلى مساعدة أصحاب التوحد إلى الوصول إلى حقوقهم ومعالجتها بكرامة كما يهدف إلى مقابلة حاجاتهم الخاصة بعد تحديدها وفي النهاية يقر مؤلفا هذا الكتاب بأنهما يدينان بالفضل للعديد من أعضاء هيئة التدريس وأولياء الأمور وأطفال التوحد الذين كانوا يعملون معهم على مدار سنوات عديدة. وبالتحديد أعضاء هيئة التدريس وتلاميذ مدرسة Radlett Lodge الذين كانوا يعملون معهم لفترة طويلة من الوقت.

وهذا الكتاب يركز على تفسيرات المؤلفان الخاصة ويتبنى خبراتهما الخاصة ويديننا بالفضل إلى خبرة وروح العديد من زملاء وهم Katie Thomas, 'WednyBrown, Margaret Golding.